الدور القيادي، وطالما يصار لملء الفراغ بجهود مضاعفة وتضحيات مضاعفة لتأدية هذا الدور، فهذا ما يفسر توصيفه بالايجابي. ولكن الخلل الأكبر ينشؤ حينما تغيب أسماء قيادية يتعذر ملء فراغها والاضطلاع بدورها.

«كان علينا عدم الخضوع للمستوى السياسي الحكومي ومراقبتكم أكثر قبل مهاجمتكم.»

اعترف احد الضباط في الزنازين «فانتم خطرون وقد تفوقتم علينا بالصمود وتفوقنا عليكم بالتكنولوجيا».

وباتت اللعبة مكشوفة. فالحملات الاعتقالية العشوائية المدعومة ببعض الأدلة لا تجدي نفعا «فالنهج الصمودي قادر على مواجهتها»، ولا بد من اتباع وسائل استخبارية أكثر ذكاء.» من قبل اعتقلنا بعض المهندسين وسنصل للمهندس الأكبر»... ردد أحد الضباط.

وتفيد مصادر الجبهة أن قرار «ضخ دماء جديدة» «والمزيد من القوى في الميدان» بما صاحبهما من متابعة لحوحة «في معظمها ضميري، فالرفاق والرفيقات يحركهم الدافع الأيديولوجي والأخلاقي إذ لا مكاسب شخصية أو مالية»، أما المتابعة من أعلى ففرضها التأكد من حرارة ودقة العمل وتطبيق القرارات والخطط السنوية وضمان التناغم بين مختلف الآليات والتخصصات.

وتبين بالملموس «التقدم على جبهة الكم وجبهة الكيف» رغم الانحسار في المد الانتفاضي، وعلى الدوام هناك مساحة شعبوية، أعداد من الرفاق والرفيقات والعاطفين تشدهم مقولات سياسية قليلة عن النضال وتحرير فلسطين ومقولات فكرية قليلة عن العمال والفقراء والاشتراكية، منبهرين بشخصية الحكيم ورموز الصمود في الزنازين وقدرة تنظيم صغير على تحدي دولة نووية، بما هو قريب من الانحيازات الشعبوية لدى قوى أخرى...

وباتت مكشوفة الثنائية المتناقضة: انحسار الانتفاضة والحملات الاعتقالية من جهة وتشديد التطلب الانتفاضي والحزبي، بزيادة المناشطات الانتفاضية وزيادة العضوية الحزبية من جهة أخرى.

(كان يسيراً استقطاب أعداد جديدة، فهناك قاعدة واسعة في «لمش» والحلقات العاطفة وكلهم تعمدوا في المهام وتلقوا تثقيفا سياسيا وابدوا جدية في الشجاعة والانضباط... لكن ما كان يشغلنا هو ضبط حجم التوسع فلا يتجاوز القدرة الكادرية في القاعدة.